الجامعة الإسلامية العالمية شيتاغونغ
ISSN 1813-7733
المجلد الحادي عشر ديسمبر ٢٠١٥م (ص ٨٩-١٠٤)

الدعوة الفردية: استراتيجيات وتطبيقات

محمد أبو الكلام *

ملخص المقال: لقد حاول الباحث أن يقوم بتوضيح مفهوم الدعوة الفردية في ضوء عقيدة صحيحة مع ذكر أهميتها وفوائدها أمام الدعويين. كما تحدث عن عنايات القرآن والسنة إلى تأسيس الدولة الإسلامية وفق الشريعة الإسلامية. ومعروف لدى الجميع أن الدعوة من أهم العوامل الرئيسية لانتشار الإسلام على سطح الأرض. ثم تحدث عن مراحل الدعوة الفردية وموقف القرآن الكريم منها مع بيان بعض النماذج الحيوية التي شاهدها العصر النبوي -صلى الله عليه وسلم-. بناء على هذا. بيّن صاحب المقال بعض الاستراتيجيات المهمة لنجاح الدعوة الفردية مع بيان أهمية الإخلاص في العمل. الخطوات الفعالة. تزويد الدعاة بالعلم النافع. وتخلقهم بالأسوة الحسنة. ومتابعتهم في المجال الدعوي تدرجا. التعرف على الصفات الشخصية للأفراد. إقامة العلاقة الثنائية بين الدعاة وعامة الناس. وتثبيت الثقة الودية في معاملاتهم بالرفق واللين. استخدام الوسائل المعاصرة والأساليب المتنوعة التي كانت صلتها بالاستراتيجيات القيمة. وأخيرا أشار الباحث في مقاله كيفية تطبيقاتها للحصول على البغية المذكورة بترفيق الله وهو الموفق والمعين.

مقدمة:

الحمد لله رب العالمين. القائل في كتابه المبين: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنْ الْمُسْلِمِينَ﴾[١]. والصلاة السلام على خاتم النبيين، سيد الدعاة، المبعوث رحمة للعالمين. -نبينا محمد- القائل: "لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من حمر النعم"[٢]. وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد:

فإن الدعوة إلى الله عز وجل كانت سببا رئيسيا في انتشار الإسلام وبناء المجتمع الإسلامي على مدى القرون والعصور. وهي من أعظم وأحسن المهام والواجبات التي كلف بها الإنسان الخليفة

* الأستاذ المساعد. قسم الدعوة والدراسات الإسلامية. الجامعة الإسلامية العالمية شيتاغونغ.

في هذه الأرض. فلا تكتمل حياة الإنسان ولا تستقيم أحواله الفردية والاجتماعية والحضارية والدينية إلا بالقيام بواجب الدعوة على الوجه الأمثل الذي به يبين الحق للناس، ويوضح لهم المنهاج الصحيح الذي ارتضاه الله لهم. فكلما كانت الدعوة أصلية ومنظمة ومؤثرة وفعالة كانت سببا في نمو المجتمع وبنائه البناء الصحيح وترقية الروح والاجتماع والأخلاق والسلوك.

والدعوة إلى الله عز وجل تنقسم بالنسبة إلى المدعو إلى قسمين:

الأول: دعوة جماعية وتتمثل بالخطب والمواعظ والدروس. والثاني: دعوة فردية وهي التي تهتم بتربية الفرد المسلم التربية السليمة مع المتابعة.

هذا. لو نظرنا إلى واقع الدعاة إلى الله نجد أنهم في الغالب يقومون بنوع واحد من الدعوة — وهي الدعوة الجماعية— والقليل من يهتم بالدعوة الفردية والتي هي في الواقع لا تقل أهمية عن الدعوة الجماعية بل قد تكون أهم من الدعوة الجماعية. وأنها تحقق ما لا تحققه الأخرى، حيث أن النبي —صلى الله عليه وسلم— اهتم بها خاصة في المرحلة الأولى من المراحل الدعوية. حتى تعتبر الدعوة الفردية كلبنة أساسية للدولة الإسلامية.

بناءً على ذلك، اخترنا الموضوع لكتابة المقالة فيه. والمقالة تشتمل على مفهوم الدعوة الفردية وأهميتها وموقف القرآن منها ونماذج من الدعوة الفردية وفوائد هذا النوع من الدعوة ومراحلها واستراتيجيات نجاح الدعوة الفردية وضرورتها.

مفهوم الدعوة الفردية:

من أجل مناقشة مفهوم الدعوة الفردية مناقشة عميقة، لا بد لنا من التوطئة لذلك بعرض الأصل اللغوي والاصطلاحي لهذا المفهوم، وهو كما يأتي باختصار:

- **الدعوة في اللغة:** مصدر دعا يدعو. ودعوت فلانا ناديته، وطلبت إقباله، ودعا المؤذن المسلمين إلى الصلاة، فهو داع إلى الله[٣].
- **والدعوة في الاصطلاح:** هي الدعوة إلى الإيمان بالله وحده وبما جاءت به رسله بتصديقهم فيما أخبروا به، وطاعتهم فيما أمروا به ونهوا عنه[٤]. وأيضا الدعوة هي "تبليغ الإسلام للناس وتعليمه إياهم وتطبيقه في واقع الحياة"[٥].

الدعوة الفردية:

أما الدعوة الفردية فهي ما كان الخطاب فيه موجها إلى شخص واحد في الغالب.[٦] ولا تعني الدعوة الفردية أن يقتصر الداعية على فرد واحد، إنما يمكن أن يدعو عدة أفراد في نفس الوقت يمارس معهم دور التوجيه والتربية. هذا، وإذا كان الداعية منضما إلى جماعة، أو غير منضم وهو يزاول الدعوة الجماعية كالمحاضرة والخطبة ونحوهما فليس من الدعوة الفردية.

والدعوة الفردية قد تكون بين والد وولده، وأخ وأخيه، وجار مع جاره، وزميل مع زميله، أو بين صديقين إلخ بشرط أن يتوفر في الداعي العلم والدين والخلق والقدرة على ممارسة الدّعوة. وهي اتصال الداعية بالمدعو اتصالا مباشرا شخصيا بهدف تمسكه والتزامه بالإسلام بحيث تتحقق فيه صفات المسلم ويتوفر لديه الاستعداد للقيام بواجب الدعوة إلى الله والعمل للدين في شتى الميادين[٧].
وبعبارة أخرى أن الدعوة الفردية هي"علاقة موجهة بين الداعي والمدعو قائمة على الاحتكاك المباشر والاتصال القوي الذي يهدف إلى توجيه فكر المدعو وسلوكه وفق المنهج الإسلامي"[٨].

أهمية الدعوة الفردية

إن الدعوة الفردية تخصص دقيق. لأن من الدعاة من لديه قدرة في المحافل، والتجمعات وهز المنابر، ولهم أبلغ التأثير في حشد الناس، ولكن ليست لديهم قدرة على تربية الأفراد وملازمتهم وتنمية قدراتهم ورعاية ما لديهم من استعدادات، وليس لهم أي برنامج حيّ لبناء المجتمع، ولكل منهم مكانته وأهميته في الدعوة.

ولا شك أن لكل دعوة أثرها في المجتمع، سواء كانت فردية أو جماعية، مع العلم أن أثر الدعوة الجماعية يفوق أثر الدعوة الفردية، مع التلازم بينهما، فالدعوة الجماعية أسرع من الدعوة الفردية وتستطيع أن تصل إلى قطاع أوسع من الناس، وتكون حتمية في مراحل متقدمة من الدعوة لكسب الأنصار.
ولا تغني الدعوة الفردية عن الدعوة الجماعية، لأن الدعوة الفردية لا تستطيع الوصول إلى قطاع واسع من الناس الذين يجب أن توجه لهم الدعوة.

إن الدعوة الفردية لها معالم وملامح لا تتوفر في سواها، لأنها موجهة من داعٍ إلى مدعو، وتعتمد على الملازمة، وتحتاج إلى طول نفس، فالداعي يتعهد المدعو، ويتابع كل أثر تتركه الدعوة،

والدعوة الفردية تربية مكثفة ذات مرونة تجمع بين الروح والعقل والبدن للوصول بالمدعو للعلم والعمل حتى يصبح داعيا إلى الله. قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحاً وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾[9]. وكما قال تعالى: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنْ الْمُنْكَرِ وَأُوْلَئِكَ هُمْ الْمُفْلِحُونَ﴾[10]. ويقول: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾[11].

موقف القرآن الكريم من الدعوة الفردية:

وردت في القرآن الكريم آيات كثيرة توجب الدعوة إلى الله، منها ما تخاطب النبي –صلى الله عليه وسلم–، فتدخل أمته في الخطاب تبعًا له، ومنها ما خاطبت الأمة مباشرة. فمن الآيات التي تشير إلى الدعوة الفردية:

- قوله تعالى: ﴿وَادْعُ إِلَى رَبِّكَ إِنَّكَ لَعَلَى هُدىً مُسْتَقِيمٍ﴾[12] وقال تعالى أيضا: ﴿وَادْعُ إِلَى رَبِّكَ وَلا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾[13]. وقال تعالى أيضا: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا– الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا– أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا﴾[14]. وقال الله أيضا: (فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾[15]. وأيضا قال: ﴿إِذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى﴾[16]. وقال عز وجل:

> وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ. وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ، إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ .... وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ. وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾[17].

- ومنها أيضاً قوله تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾[18]. وقوله تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾[19].

هذه الآيات يدخل فيها المسلمون جميعا، لأن الأصل في خطاب الله لرسوله – صلى الله عليه وسلم– دخول أمته فيه إلا ما استثنى. وليس من هذا المستثنى أمر الله تبارك وتعالى له بالدعوة إليه. ومعنى ذلك: أن الله تعالى أكرم هذه الأمة الإسلامية، وشرفها أن كلفها مع رسوله الكريم في وظيفة الدعوة إليه.

نماذج من الدعوة الفردية في العصر النبوي – صلى الله عليه وسلم–:

إن نظرة متفحصة حول الدعوة الفردية في العصر النبوي تجلي لنا خصائص هذه الدعوة ومفعولها القوي في بناء الأفراد والمجتمعات، فهي الدعامة الأساسية التي لا بد لأي بناء اجتماعي وفكري أو ديني أن يقوم عليه، ومن معالم هذه الدعوة الفردية في العصر النبوي، نذكر ما يأتي:

- دعوة النبي– صلى الله عليه وسلم– أبا بكر الصديق:

أخرج الحافظ أبو الحسن الطرابلسي عن عائشة رضي الله عنها قالت : خرج أبو بكر يريد رسول الله –صلى الله عليه وسلم– وكان له صديقا في الجاهلية، فلقيه فقال: يا أبا القاسم، فقدت من مجالس قومك واتهموك بالعيب لآبائها وأمهاتها. فقال رسول الله –صلى الله عليه وسلم: "إني رسول الله أدعوك إلى الله". فلما فرغ من كلامه أسلم أبو بكر. فانطلق عنه رسول الله –صلى الله عليه وسلم– وما بين الأخشبين أحد أكثر سرورا منه بإسلام أبي بكر.[٢٠]

- دعوة معاذ بن جبل وآخرين من بني سلمة عمرو بن الجموح:

ذكر ابن إسحاق:(لما قدم الأنصار المدينة بعدما بايعوا رسول الله –صلى الله عليه وسلم– ظهر الإسلام بها، وفي قومهم بقايا على دينهم من أهل الشرك. منهم عمرو بن الجموح. وكان ابنه معاذ قد شهد العقبة وبايع رسول الله –صلى الله عليه وسلم– بها، وكان عمرو بن الجموح قد اتخذ في داره صنما من خشب يقال له" مناة" كما كانت الأشراف يصنعون – يتخذه إلها، ويطهره فلما أسلم فتيان من بني سلمة: معاذ بن جبل، ومعاذ بن عمرو بن الجموح في فتيان منهم – ممن أسلم، وشهد العقبة– كانوا يدلجون بالليل على صنم عمرو ذلك، فيحملونه، فيطرحونه في بعض حفر

بني سلمة. وفيها عذر الناس منكسا على رأسه. فإذا أصبح عمرو قال: ويلكم من عدا على إلهنا في هذه الليلة؟ قال: ثم يغدو يلتمسه حتى إذا وجده غسله، وطهره، وطيبه.

فالقصة المذكورة تبيِّن بجلاء فاعلية الدعوة الفردية في العصر النبوي. وهي بعامة كانت الركيزة الأولى التي أسلم بها كبار الصحابة. وأصبح كل واحد منهم داعية لغيره، مربيا له، ومن هذه الركيزة الأولى كان بناء المجتمع الإسلامي القويم الأول.

- دعوة النبي -صلى الله عليه وسلم- الطفيل بن عمرو الدوسي:

قال ابن اسحاق وكان رسول الله -صلى الله عليه وسلم- على ما يرى من قومه يبذل لهم النصيحة ويدعوهم إلى النجاة مما هم فيه وجعلت قريش حين منعه الله منهم يحذرونه الناس ومن قدم عليهم من العرب. وكان الطفيل بن عمرو الدوسي يحدث أنه قدم مكة ورسول الله -صلى الله عليه وسلم- بها فمشى إليه رجال من قريش وكان الطفيل رجلا شريفا شاعرا لبيبا فقالوا له يا طفيل إنك قدمت بلادنا وهذا الرجل الذي بين أظهرنا قد أعضل بنا وقد فرق جماعتنا وشتت أمرنا وإنما قوله كالسحر يفرق بين الرجل وبين أبيه وبين الرجل وبين أخيه وبين الرجل وبين زوجته وإنا نخشى عليك وعلى قومك ما قد دخل علينا فلا تكلمنه ولا تسمعن منه شيئا استماعه للرسول -صلى الله عليه وسلم- قال فوالله ما زالوا بي حتى أجمعت أن لا أسمع منه شيئا ولا أكلمه حتى حشوت في أذني حين غدوت إلى المسجد كرسفا فرقا... وأنا راجع إليهم وداعيهم إلى الإسلام فادع الله أن يجعل لي آية تكون لي عونا عليهم فيما أدعوهم إليه فقال اللهم اجعل له آية[٢١].

فوائد الدعوة الفردية:

للدعوة الفردية فوائد وعوائد نافعة على الدعوة الإسلامية وعلى بناء الفرد والمجتمع. نأتي على بعضها في النقاط الآتية بإيجاز:

١. تهتم الدعوة الفردية في تربية أفراد الأمة بأعلى درجة حيث لا تهمل شيئا في حياتهم، وفي نفس الوقت، لها دور فعال في إقامة المجتمع الإسلامي، وهي أنجح من الدعوة العامة في تربية الأفراد وإقامة المجتمع الإسلامي.
٢. ويغرس بها الدعاة المبادئ الإسلامية في قلوب المدعويين، وهذا إذا تحدثوا بكل جدية ووضوح في وقت مناسب.

٣. وبها يمكن متابعة التطبيق العملي للتوجيهات الملقاة على الأفراد.

٤. يمكن للداعية أن يصل بها إلى الحق للذين رفضوا الدعوة من قبل جماعيا.

٥. وهي سهلة ويسر، ولا تحتاج إلى معانات كثيرة، ويمكن أن يقوم بها كل داعية من خلال عمله في أيّ مكان كان.[٢٢]

٦. عن طريق الدعوة الفردية يمكن التعرف على المدعو جيدا وبصورة واضحة وعميقة. وذلك أنسب طريقة لنجاح الدعوة وفوزها.

٧. إمكانية الاطلاع على طرق التأثير المباشر في الشخصية النبيلة، فعن طريقها يمكن معرفة طباع المدعو وميوله ومفتاح شخصيته مما يسهل للداعي التعامل معه بما يناسبه. ويأخذ بأنسب الطرق في الإقناع والتأثير.

مراحل الدعوة الفردية:

هناك وسائل كثيرة ومتنوعة يمكن للداعية من خلالها النفوذ إلى المدعو، والتأثير عليه بطريق مباشر دون أن تنطلق من المدعو أي ردّة فعل سلبي في النفور من الداعية. ولا شك أن المفتاح للولوج إلى أيّ إنسان — مهما كانت طبيعته وموقفه من غيره – هو تكوين علاقة ودية معه، يتبع ذلك توطيد تلك العلاقة بالحديث إليه في أمور تهمه في حياته دون تطفل عليه، مما يشعره بالاهتمام به. وبكل ما يتصل به من مشكلات يومية، بعد هذا المدخل الودي مع المدعو، يمكن للداعية أن يوسع دائرة العلاقة بينه وبين المدعوّ بربطه بمَن يثق بهم من الدعاة وجلساء الخير ممن يرغبونه في الخير، ويهتمون به، ويهدف ذلك إلى توسيع مفهوم الإسلام عنده، وترغيبه في العمل الخيريّ والرُّفقة الطيِّبة، فالمراحل التي ينبغي للداعية أن يراعيها هي ما يلي ذكرها:

١. لا بد أن يكوّن الداعي علاقته مع المدعو علاقة دينية و وثيقة، ولا تكون هذه العلاقة لتنفيذ مصالح الدنيا فقط، بل تكون علاقة روحية وقلبية.

٢. اللقاء والتكلم مع المدعو في أمر معين وتربطه بالدين وتنتهز فرصا تقوي إيمانه مثل الحديث عن الموت والجنة والنار فتربط الموضوع بحسن الخاتمة الممكن، حتى يزعمه أحدا منهم.

٣. محاولة توسيع مفهوم الإسلام عنده مما هو أشمل من أداء الصلاة والصوم وغيرها.

٤. محاولة تقوية إيمانه بطريق مباشر بكتيب أو بشريط فيه قصص أو تذهب به إلى المحاضرات حيث أن المدعو يشعر بأن الأمر الذي جاء به الداعي هو أمر ضروري ولازم في حياة البشرية جميعا.

٥. محاولة ربطه بجماعة طيبة وتتابعه بحيث يندمج معهم.

٦. تشجيعه إلى العمل لإقامة الإسلام والدعوة إليه. لأن إقامة الدين في المجتمع والعمل بها فرض على المسلمين.[٢٣]

استراتيجيات نجاح الدعوة الفردية:

هناك عدة عوامل لنجاح الدعوة الفردية. يجب أن يتنبه لها الداعية، وأن يراعيها أثناء دعوته. وهي عوامل حساسة، قد يؤدي فقد أحدها إلى الفشل في الدعوة.

إن كثيرا من الدعاة يعملون كثيرا، ويجهدون أنفسهم في الدعوة، وكثيرا ما يفشلون في دعوتهم، وليس ذلك لعدم معرفتهم بهذه العوامل. ولكن لإهمال بعضها. وعدم إعطائه حقه من الأهمية، فيجب أن يتنبه الداعية إلى هذه الأسباب الحقيقة. فيحرص على تطبيقها جميعا. ومن أهم هذه العوامل:

١ – الإخلاص في العمل

إن أهم شيء في جميع العبادات هو الإخلاص لله عز وجل، والإخلاص أساس قبول الأعمال. والمراد به : أن يقصد الداعية بعمله وجه الله تعالى لا شيء غيره، حيث قال تعالى: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً﴾[٢٤]. وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه أنه قال لرسول الله – صلى الله عليه وسلم– حين بعثه إلى اليمن داعيا: يا رسول الله أوصني، قال: "أخلص دينك يكفك العمل القليل"[٢٥].

٢ – الخطوات الحقيقة للدعوة

إذا أمعنا النظر إلى الدعاة المعاصرين لنرى أن معظمهم يبذلون جهودا جبارة في مجال الدعوة، ولكنهم لا ينجحون فيها لعدم ممارسة الخطة الحقيقة. بل نجد الدعوة أيضا غير مركزة وغير منظمة وغير مخططة، فالواجب على التركيز إلى الأشخاص الذين يعملون للدعوة، والذين يرجى منهم نصرتها وهداية غيرهم. كما فعل النبي – صلى الله عليه وسلم – في دعوته في

مكة. فلم تنته المرحلة السرية للدعوة إلا وقد انتشرت في جميع القبائل المشهورة في مكة. ولا شك في أن الدعوة المكية إنما أعزها الله سبحانه بإسلام عمر، وكان ذلك أمرا مخططا له من لدن النبي –صلى الله عليه وسلم–، ويظهر ذلك في دعائه: "اللهم أعز الإسلام بأحب هذين الرجلين إليك بأبي جهل أو بعمر بن الخطاب"[٢٦]. ويظهر مصداق ذلك في قول ابن مسعود أيضا: "ما زلنا أعزّة منذ أسلم عمر"[٢٧]. فالدعوة الفردية بهذه الفكرة تتخير من الأفراد مَن تكون هدايته مفتاحا لغلبة الإسلام، ولهداية غيره من الأفراد.

٣ – العلاقة الدينية

من أهم عوامل نجاح الداعية في دعوته صلته بالله تعالى. ولعل هذا السبب من أهم ما يفتقده كثير من الدعاة في هذا العصر. إن الداعية يخوض معركة بين الحق والباطل، بينه وبين شياطين الإنس والجن. ولا يمكن الانتصار في هذه المعركة إلا بالتقرب إلى الله تعالى والصلة به سبحانه صلة قوية ومستمرة. وقد قال تعالى لنبيه – صلى الله عليه وسلم– في بداية دعوته، ومواجهة مشاق الدعوة: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ. قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلاً﴾[٢٨]. فكان قيام الليل وسيلة من وسائل النصر، وبهذا أيضا أوصى النبي – صلى الله عليه وسلم– أصحابه بقوله لابن عباس: "احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك"[٢٩].

٤ – تزويد العلم النافع

ينبغي للداعية أن يتزود بالعلم النافع، وأن يفيد غيره من علمه، إذ لا يحس المدعو بأثر الداعية إلا إذا استفاد من علمه أثناء جلوسه معه، فيجب التسلح بالعلم، وتحري إفادة المدعو. وإذا كانت قدرة الداعية العلمية لا تعينه على ذلك فعليه أن لا يقتصر على النصيحة والتوجيه الشخصي، بل يهدي الكتاب المختصر النافع، أو الشريط الإسلامي مسموعا كان أو مرئيا، أو بعض النشرات والمجلات والصحف الإسلامية.

٥– الأسوة الحسنة

يجب أن يكون الداعية أول العاملين بما يدعو إليه، فإن من أعظم الإثم والمقت أن يخالف عمل الداعية قوله، كما قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ. كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لا تَفْعَلُونَ﴾[٣٠]. وقال النبي –صلى الله عليه وسلم–: "يُؤْتَى بالرَّجُلِ

يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُلْقَى فِي النَّارِ فَتَنْدَلِقُ أَقْتَابُ بَطْنِهِ فَيَدُورُ بِهَا كَمَا يَدُورُ الْحِمَارُ بِالرَّحَى فَيَجْتَمِعُ إِلَيْهِ أَهْلُ النَّارِ فَيَقُولُونَ يَا فُلاَنُ مَا لَكَ أَلَمْ تَكُنْ تَأْمُرُ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ فَيَقُولُ بَلَى قَدْ كُنْتُ آمُرُ بِالْمَعْرُوفِ وَلاَ آتِيهِ وَأَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ وَآتِيهِ"[٣١] وأهمية القدوة الحسنة تتضح أكثر في الدعوة الفردية. لأن الاختلاط فيها يكون أكثر بين الداعية والمدعو. فهو يعرف كثيرا من أخلاقه وأعماله وتصرفاته، بل إنه قد يطلع على بعض أسراره. بخلاف المحاضر أو المدرس. فتصرفاته أمام الآخرين وعلاقاته محدودة.

٦- المتابعة والاستمرار في الدعوة

يعتبر عنصر "المتابعة" من أهم العناصر في الدعوة الفردية. فهو شرط أساسي فيها، لأن كثيرا من الأشخاص يستجيبون للدعاة حين تبذل معهم جهود دعوية ويبدأون في الاستقامة. ولكن عندما يفقد عنصر المتابعة، يعود أولئك الأشخاص إلى أسوأ مما كانوا. وهذا يبدد الجهود. ويكون عقبات في طريق الدعوة.

٧ – بداية الدعوة بذي القربى

تحتاج الدعوة الإسلامية إلى أمة تقوم بها وتناصرها، فلا يستطيع الفرد أن يخدم الإسلام دون مساعدة إخوانه في الله. فالمرء قليل بنفسه، كثير بإخوانه. وإن الإنسان عادة يعيش في مجتمع محدود في العالم. فلا بد أن يكسب هذا المجتمع. كي يكون معه صفا واحدا في وجه الأعداء والجاحدين. وعلى هذا فالأولى أن يبدأ الداعية بذي القربى. سواء كان من أهله وعشيرته، أو من بلده. فكلما كان المكان أقرب كان ذلك أولى.

وليس في هذا تعصب أو قومية. فالإسلام للجميع. ولكن حاجة الدعوة توجب أن يعطي الأقربون الأولوية. ليقيموا المجتمع الإسلامي. وجدير بالداعية أن يُحول العلاقات العائلية أو القبلية أو الوطنية إلى علاقات إسلامية أخوية في ذات الله عز وجل. وقد جاء الأمر الموجه للنبي – صلى الله عليه وسلم- في قوله تعالى: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾[٣٢].

٨ – التعرف على الصفات الشخصية للأفراد

إذا كانت الدعوة الفردية تستهدف الأفراد استهدافا مباشرا. فلا بد في هذه الدعوة أن تنطلق من الفهم الصحيح للصفات الشخصية لكل فرد، فما ينفع مع زيدٍ من الناس من الوسائل. لا

ينفع بالضرورة مع غيره، وهكذا. يقول النبي – صلى الله عليه وسلم: "النَّاسُ مَعَادِنُ كَمَعَادِنِ الْفِضَّةِ وَالذَّهَبِ خِيَارُهُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ خِيَارُهُمْ فِي الإِسْلاَمِ إِذَا فَقُهُوا "[٣٣] وتختلف الخصائص التي وهبها الله للناس من شخص لآخر. فلكل صفات حسنة وسيئة. والداعية حال مخالطته للآخرين يجب أن يتعرف على هذه الخصال وتلك القدرات. ويحتفظ بها لأصحابها وإن خالفوه في الرأي. إذ هي معادن يمكن صقلها واستغلالها لصالح الدعوة.

٩ – التدرج في الدعوة

من الخطأ في التصور والتطبيق، رغبة الداعية في تغيير المدعو دفعة واحدة. والتحول كلية. وهذا التحول أمر طيب، إذ يعتبر نجاحا سريعا في الدعوة. ولكنه غير ممكن في جميع الحالات. كما أن الحرص عليه قد تكون له نتائج سلبية في رفض المدعو للدعوة ونفوره منها. ولذا جاء الإسلام متدرجا في التشريع: في جميع أبعاده: الواجبات والمحرمات، فالصلوات مثلا، إنما صارت خمسا في اليوم والليلة بعد أن كانت ركعتين ركعتين. والخمر حُرمت على مراحل. ابتداء بقوله تعالى: ﴿يَسْأَلونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ﴾[٣٤]، وانتهاء بقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[٣٥].

وقد وضّح صاحب الشريعة هذا المفهوم لمعاذ بن جبل حين بعثه إلى اليمن. فقال له: "إِنَّكَ تَأْتِي قَوْمًا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ فَادْعُهُمْ إِلَى شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللَّهِ ... وَاتَّقِ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ فَإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ اللَّهِ حِجَابٌ"[٣٦]. فشرط الانتقال إلى كل مرحلة بنجاح ما قبلها. وتمكينه في النفوس.

١٠– إقامة الربط والعلاقة مع المدعو

قبل أن يبدأ الداعية زيارة دعوية، عليه أن يكوّن علاقة فردية مع الفرد الذي يزوره، ويتعرف على ظروفه وأحواله وعلاقاته واتجاهه الفكري ونحو ذلك، ثم يتلطف معه حتى يكسب وُده وثقته قبل أن يقوم بدعوته. ولو بطلاقة الوجه، حيث قال النبي –صلى الله عليه وسلم: "لا تحقرن من المعروف شيئاً ولو أن تلقى أخاك بوجه طليق"[٣٧]، إلى غير ذلك من استخدام طيب الكلام. والسؤال عن الحال. وسماع الشكوى. ومجاذبة أطراف الحديث أنه يدعو الناس.

١١- اللطف في التعامل

إن الحكمة والموعظة الحسنة واللين أساليب أرشدنا الله إلى استعمالها في أمور الدعوة. قال تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾[٣٧]. وقال تعالى مخاطبا موسى وهارون: ﴿فَقُولا لَهُ قَوْلاً لَيِّناً لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾[٣٩]. فإذا كان هذا الأمر باستخدام أسلوب اللين مع فرعون الذي وصل طغيانه إلى ادعاء الربوبية، فإن المدعو المسلم – مهما كان فسقه– أولى بالقول اللين. وكما قال تعالى مخاطبا لمحمد –صلى الله عليه وسلم–: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾[٤٠]. ومن الأمثلة الجلية في عمق اللطف وأثره المباشر في الدعوة الفردية. لطفه –صلى الله عليه وسلم– بالأعرابي الذي بال في المسجد، فحين فقام الناس إليه ليقعوا فيه. كفهم النبي – صلى الله عليه وسلم– عنه. وقال: "دعوه واهريقوا على بوله سجلا من ماء، أو ذنوبا من ماء، فإنما بعثتم ميسرين ولم تبعثوا معسرين"[٤١]. إذنْ، يجب على الداعية أن يستعمل الرفق في أمور الدّعوة. فما كان الرفق في شيء إلا زانه، ولا نُزِع من شيء إلا شانه.

١٢– تقديم الهدايا

الهدية تورث المحبة. ولها منزلة وذكريات خاصة في النفس. وكثيرا ما يغيب هذا المفهوم عن كثير من الدعاة، ليس لعجزه المادي، وإنما لعدم إدراكه لأهمية الهدية، وقد أوصى النبي بالهدية، وبين أنها سبب للمحبة. فقال: "تهادوا تحابوا"[٤٢]. تجدر الإشارة إلى أن الهديَّة لا تعني تقديم الأشياء الثمينة. بل إن أي شيء يقدم هدية فهو رمز للمحبة، مهما كانت قيمته. فعلى الداعية أن يقدم الهدية لكل من أراد كسبه، ذلك أن المهدى له سيحس أن له منزلة خاصة في قلب الداعية، وسوف يبوح له بكثير من أسراره ومشاكله.

١٣– استخدام الوسائل المعاصرة والأساليب المتنوعة

تتعدد وسائل الدعوة وأساليبها، ولكل شخص ما يناسبه وتطمئن إليه نفسه من هذه الوسائل، وعلى الداعية الناجح أن يعرف هذه الأساليب ويستخدمها بحسب الزمان ونوعية المدعوين، فمن الوسائل استخدام النصيحة، ولعل وسائل الاتصال الحديثة – خاصة– الإنترنيت بمنتدياتها ومجموعاتها البريدية، ومواقعها الاجتماعية (فيسبوك وتويتر

وغيرها من الوسائل المعاصرة). من أهم الوسائل وأكثرها فاعلية في التواصل رغم العقبات الاجتماعيَّة والحياتية الكثيرة، ومن واجب الداعية المسلم التعرف على الوسائل والسبل النافعة في استغلال هذه الوسائل في دعوته.

١٤- الخلق الحسن

وعلى الداعية أن يتزين بزينة الأخلاق الحسنة، ويتحلى بها، ويجذب بها أنظار المدعويين، لأنهم يميلون إليه بالسلوك الحميدة. ونظرا إلى هذا لما سئلت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها عن أخلاق النبي –صلى الله عليه وسلم– فقالت: "كان خلقه القرآن"[٤٣]. ولا شك أن الله سبحانه وتعالى أرسله إلى البشرية كافة بخلق عظيم، حيث قال تعالى: "وإنك لعلى خلق عظيم"[٤٤].

١٥- تعاون الآخرين في أمر الدعوة

قد يكون لدى الداعية عجز أو قصور في تحقيق أحد العوامل السابقة. وهذا لا يعني أن يتخلى عن الدعوة بهذه الحجة، فإن الدعوة واجبة على كل مسلم بحسب استطاعته ومعرفته. ويمكن للداعية القيام ببعض ما يستطيع الدعوة إليه ثم يستعين ببعض إخوانه لإكمال ما تبقى من الخطوات. والسير بالفرد إلى الأفضل. وقد يواجه الداعية مشكلة لا يستطيع حلها، أو مسألة لا يستطيع الإجابة عليها، فعليه أن يوصي غيره بالقيام بهذا الواجب. وهذا من باب التعاون على البر والتقوى. وهو أساس يجب أن يطبقه الدعاة قبل غيرهم، خاصة في مجال الدَّعوة.

الدعوة الفردية وضرورتها في بناء المجتمع الإسلامي

على كل مسلم غيور على دينه وحريص على نشر مبادئه، وهداية الناس بها: أن يمارس الدعوة إلى الله تعالى، بكل الوسائل المتاحة له، والمؤدية إلى النجاح في مهمته، وفي كل الظروف الممكنة، وفي كل البيئات التي يرى أو يأمل فيها القبول لدعوته، ومع كل الناس الذين تجمعه بهم الأقدار ويلمح فيهم ولو أدنى بارقة أمل في أن يشرح الله صدورهم حتى ولو للاستماع إليه فيما يعرضه عليهم. يقول تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾[٤٥]. ويقول صلى الله عليه وسلم "من رأى منكم منكرا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان"[٤٦].

بناءً على ذلك. فإن ممارسة الدعوة فريضة. وواجبة على كل مسلم -رجلا أو امرأة- في كل حال وبيئة، ومع كل الناس، ما دامت الظروف مهيأة، والوسائل متاحة. لا يحجبه عن ذلك شواغل، ولا يصرفه عنه صوارف، خاصة أن الدعوة الفردية من أهم روافد العاملين للإسلام، وازديادهم في حقل الحركة الإسلامية. وهي الأسلوب الأول الذي مارسه محمد -صلى الله عليه وسلم- في الدعوة إلى الله تعالى. وهي تساعد وتركز في بناء المجتمع الإسلامي، لأن الفرد في المجتمع إذا صلح وصح عقيدته، صلح المجتمع كله، حيث أن الأفراد كلهم يعيشون بكل سالمة وغانمة.

ختاما:

لقد حاولت في هذه الدراسة الكشف عن أهمية الدعوة الفردية، وتحديد استراتيجيات دعوية في هذا المجال، منطلقا من نصوص الكتاب والسنة والسيرة النبوية، وعن مدى انطباقية تلك الاستراتيجيات على الواقع المعاصر في تفعيل الدعوة الإسلامية في المجتمع الإسلامي، ويمكن إيجاز فقرات هذه الدراسة ونتائجها في المحاور الآتية:

١- وجوب الدعوة إلى الله تعالى على كل مسلم ومسلمة، انطلاقا من قوله صلى الله عليه وسلم: "ليبلِّغ الشاهد منكم الغائب"[٤٧]، وقال أيضا: "بلغوا عني ولو آية"[٤٨]، غاية ما في الأمر أن هذه الدعوة قد تكون مباشرة وقد تكون غير مباشرة. فالمتفرغون لهذه الدعوة تكون مباشرة بالنسبة لهم، والباقون الذين يعينونهم على أمرهم تكون الدعوة غير مباشرة بالنسبة لهم

٢- تتسع أساليب ووسائل الدعوة إلى الله تعالى بحيث تتناول كل مناشط الحياة. فالطبيب والمهندس والفلكي والجغرافي والمؤرخ والزارع والتاجر والصانع وغيرهم، يمكنهم بعملهم هذا أن يكونوا دعاة إلى الله وهداة إذا أتقنوا العمل وابتغوا به وجه الله تعالى، وتنفع الأمة ثانيا، وأحسن معاملة الناس في الوقت نفسه، فيكون هذا داعية بالاقتداء.

٣- إن للدعوة إلى الله تعالى ثمرات وفوائد في الدنيا والآخرة يجمعها قول الله تعالى: ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[٤٩].

٤- أن الدعوة الفردية ذات فوائد وخصائص يجمعها الدوام والاستمرار مع الخلو عن التعقيد والتكلف، ومع تخريج دعائم وركائز العمل الإسلامي.

٥- إن النجاح في الدعوة الفردية يعتمد على الأسوة والقدوة، وعلى الحكمة أو البصيرة، مع الاستعانة بالله والاعتماد عليه أولا وقبل كل شيء.

٦- إن للدعوة الفردية دور مهم في بناء المجتمع الإسلامي الذي نريد أن نبنيه بناء قويما ثابت الأركان.

٧- متابعة الدعاة للمدعوين، ويكون ذلك من أجل التأكد من استمرارية مفعول الدعوة، والاطمئنان على خلوّ هذا المفعول من الأخلال في المفهوم والتطبيق.

هذا وإنا لنرجو من الله سبحانه وتعالى قبول هذا العمل، مع التوفيق والسداد، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

المراجع والمصادر

١. سورة فصلت، الآية: ٣٣

٢. الحميدي، محمد بن فتوح، **الجمع بين الصحيحين البخاري ومسلم**، ط٢، (بيروت: دار النشر، ٢٠٠٢م)، ج١، ص٣٤٥.

٣. الفيومي، أحمد بن محمد بن علي المقري، **المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي**، (بيروت: المكتبة العلمية، د.ت)، ج١، ص١٩٤.

٤. ابن تيمية، **مجموع الفتاوى**، ج١، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي النجدي، مكتبة ابن تيمية، ص ١٥٧.

٥. البيانوني، الدكتور أبو الفتح، **المدخل إلى علم الدّعوة: دراسة منهجية شاملة**، ط٣، (لبنان: مؤسسة الرسالة، ١٩٩٩م)، ص١٧.

٦. عبد البديع صقر، **كيف ندعو الناس**، ط١، (الأردن: دار المعارف، ١٩٨٤م)، ص ١٦.

٧. عباسي، الدكتور محمود، **مفكرة الدّعوة**، دون مطبعة وتاريخ، ط١، (مصر: دار الكتب، ١٩٨٧م)، ج١، ص ١١٢.

٨. هاني محمود، **الدّعوة الفردية: بداية الطريق**، ط١، (باكستان: مكتبة الرشيدية، ١٩٨٩م)، ص ١٣٢

٩. سورة فصلت، الآية: ٣٣

١٠. سورة آل عمران، الآية: ١٠٤

١١. سورة النحل، الآية: ١٢٥

١٢. سورة الحج، الآية: ٦٧

١٣. سورة القصص، الآية: ٨٧

١٤. سورة الكهف، الآية: ١٠٣-١٠٥

١٥. سورة طه، الآية: ٤٣-٤٤

١٦. سورة النازعات، الآية: ١٧

١٧. سورة لقمان، الآية: ١٢-١٩

١٨. سورة النحل، الآية: ١٢٥

١٩. سورة آل عمران، الآية: ١٥٩

٢٠. الأطرابلسي، خيثمة بن سليمان بن حيدرة أبو الحسن، **من حديث خيثمة بن سليمان القرشي الأطرابلسي**، (بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤٠٠هـ)، ج١، ص ١٢٥.

٢١. عبد الملك بن هشام، **السيرة النبوية لابن هشام**، (بيروت: دار الجيل، ١٤١١هـ)، ج٢، ص٢٢٦-٢٢٧.

٢٢. المُطيري. عقيل بن محمد بن زيد. **الدعوة الفردية وأهميتها في تربية الأجيال**. دون مطبعة وتاريخ. ص٦.

٢٣. http://sand.net/ankar/index.htm

٢٤. سورة الكهف. الآية: ١١٠

٢٥. الحاكم النيسابوري. محمد بن عبد الله. **المستدرك على الصحيحين**، ط. (بيروت: دار الكتب العلمية. ١٩٩٠م). ج٤. ص٣٤١.

٢٦. الترمذي. أبو عيسى محمد بن عيسى. **سنن الترمذي**، (بيروت: دار إحياء التراث العربي. د.ت). ج٥. ص٦١٧

٢٧. البخاري. أبو عبد الله محمد بن إسماعيل. **الجامع الصحيح**، د.ط. (بيروت: دار الكتب العلمية. د.ت). باب إسلام عمر بن الخطاب رضي الله عنه. ج١٢. ص٢٤٢

٢٨. سورة المزمل. الآية: ١-٢

٢٩. الشيباني. أحمد بن حنبل أبو عبد الله. **مسند الإمام أحمد بن حنبل**، (القاهرة: مؤسسة قرطبة. د. ت). ج٦. ص٢٩٣. رقم الحديث ٢٦٦٩.

٣٠. سورة الصف. الآية: ٢-٣

٣١. النيسابوري. مسلم بن الحجاج. **صحيح مسلم**، د.ط. (بيروت: دار الجيل). ج٨. ص٢٢٤. رقم الحديث: ٧٦٧٤

٣٢. سورة الشعراء. الآية: ٢١٤

٣٣. الشيباني. أبو عبد الله أحمد بن حنبل. **مسند الإمام أحمد بن حنبل**، ص٥٣٩. رقم الحديث ١٠٩٦٩

٣٤. سورة البقرة. الآية: ٢١٩

٣٥. سورة المائدة. الآية: ٩٠

٣٦. النيسابوري. مسلم بن الحجاج. **صحيح مسلم**، باب الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام. ج١. رقم الحديث ٢٧. ص١١١.

٣٧. الحميدي. محمد بن فتوح. **الجمع بين الصحيحين البخاري ومسلم**، ط٢. ص١٥٩.

٣٨. سورة النحل. الآية: ١٢٥

٣٩. سورة طه. الآية: ٤٤

٤٠. سورة آل عمران. الآية: ١٥٩

٤١. البخاري. **الجامع الصحيح**. ج١. ص٣٦٩.

٤٢. البيهقي. أبو بكر أحمد بن الحسين. **السنن الكبرى**، د.ط. (دار الفكر. د.ت). كتاب الهبات. باب التحريض على الهبة والهدية صلة بين الناس. قال الألباني : إسناده حسن. ج٦. ص١٦٩.

٤٣. الشيباني. أحمد بن حنبل: **مسند الإمام أحمد بن حنبل**، ج٦. ص٩١

٤٤. سورة القلم. الآية: ٤

٤٥. سورة النحل. الآية: ١٢٥

٤٦. الشيباني. أحمد بن حنبل. **مسند الإمام أحمد بن حنبل**، ج٦. ص٤٩.

٤٧. الشيباني. أحمد بن حنبل. **مسند الإمام أحمد بن حنبل**، ط٢. (مؤسسة الرسالة. ١٩٩٩م). ج٣٧. ص٥٣٣. رقم الحديث ٢٢٨٩٩.

٤٨. الشيباني. أحمد بن حنبل. **مسند أحمد بن حنبل**، ج٢. ص١٥٩. رقم الحديث ٦٤٨٦.

٤٩. سورة الأعراف. الآية: ١٥٧